علـــمـــاء وأعـــلام

آية الله السيد صدر الدين الصدر الكاظمي قدس سره

■ نسبه ودراسته

هو السيد محمد علي، الملقب بالسيد صدر الدين الصدر، ابن السيد إسماعيل ابن السيد صدر الدين الموسوي العاملي الكاظمي.

ولد في الكاظمية في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٩ هـ، وانتقل مع أبيه إلى سامراء فتلقى تعليمه الأول فيها، فدرس الأدب والرياضيات والمنطق، ثمّ سافر مع أبيه إلى كربلاء المقدسة.

■ أساتذته

محمد حسين النائيني، الشيخ حسن الكربلائي، ضياء الدين العراقي، السيد إسماعيل الصدر، الملا كاظم الخراساني، السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي، شيخ الشريعة الأصفهاني.

■ تلامذته

سيد محمد باقر السلطاني، السيد موسى الشبيري الزنجاني، السيد مهدي غضنفري الخوانساري، علي المشكيني، محمد صدوقي ،السيد موسى الصدر ،السيد رضا الصدر، السيد حسن المدرسي اليزدي، السيد حسين الموسوي الكرماني.

■ رحلته إلى قم

في سنة ١٣٤٩ هـ سافر من مشهد المقدسة إلى قم المقدسة، وانشغل بالتدريس فيها، وفي بعض الأحيان كان يقيم مجالس للوعظ والإرشاد، ثمّ ذهب إلى مشهد المقدسة ثانية لزيارة الإمام الرضا عليه السلام، فطلبوا منه الإقامة فيها فقبل دعوتهم، وأخذ يلقي الدروس في مسجد كوهر شاد.

طلب منه الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي ـ مؤسس الحوزة العلمية في قم ـ أواخر حياته الانتقال إلى قم المقدسة لتقوية كيان الحوزة العلمية فيها، والمحافظة عليها من نظام الشاه رضا خان؛ لأنّه كان يتربّص بها الدوائر، فقبل الدعوة وانتقل إلى قم المقدسة.

■ مرجعيته

لما توفي الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي مؤسس حوزة قم نهض السيد صدر الدين الصدر وزميلاه السيد محمد حجة الكوهكمري والسيد محمد تقي الخوانساري بأعباء الأمور، ورجع الناس إليهم في التقليد، واهتمّ بشؤون المجتمع، و بنائه على أسس رصينة، وله في المحافظة على الكيان الحوزوي مواقف و جهود جبارة. واشتهروا آنذاك بالمراجع الثلاث.

■ آثاره

المهدي: يشتمل على الروايات التي جاءت في كتب أهل السنة حول الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف، خلاصة الفصول، الحقوق «شرح رسالة الحقوق» الإمام علي بن الحسين عليه السلام، مختصر تاريخ الإسلام، حاشية العروة الوثقى، حاشية وسيلة النجاة للإصفهاني، رسالة في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر وغيرها.

■ وفاته

تُوفي قدس سره يوم السبت في ١٩ ربيع الأول سنة ١٣٧٣ هـ بمدينة قم المقدسة، وصلّى على جثمانه المرجع الديني السيد حسين الطباطبائي البروجردي، ودُفن بجوار مرقد الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في حرم السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام.

مقالة

النصر المؤجَّل للإسلام
المؤمنون وصناعة زمن الظهور

م د الشيخ حسين التميمي

الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

إنّ مسيرة الإسلام منذ انبثاقها مع بعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله إلى يومنا هذا تكشف عن حقيقة راسخة، وهي أن النصر ليس حدثًا آنيًا يُقاس بنتيجة معركة أو موقف سياسي، بل هو مسار تاريخي ممتد تحكمه سنن إلهية عميقة. هذه الحقيقة تجلّت في كل المراحل التي مرّت بها الأمة الإسلامية، حيث واجهت التحديات والانكسارات، لكنها لم تذُب ولم تَنتهِ، بل استمرت قادرة على النهوض وإعادة صياغة نفسها. ومن هنا تنبع فكرة "النصر المؤجَّل"، أي أن الغلبة الحقيقية للإسلام ليست آنية ولا جزئية، بل هي وعدٌ إلهي بالتحقق الكامل في الزمن الذي تكتمل فيه شروط العدل الإلهي، وهو زمن ظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وفي التجربة النبوية نرى أن الإسلام لم يُمنح النصر دفعة واحدة، بل انطلق ضعيفًا، محاصرًا، يعاني من القلّة والاضطهاد. المؤمنون الأوائل كانوا يواجهون أشدّ ألوان التعذيب، وحوصر النبي وأصحابه في شعب أبي طالب، واضطر إلى الهجرة من مكة إلى المدينة. ومع ذلك لم تكن هذه المرحلة هزيمة، بل كانت تمهيدًا لصياغة مجتمع إيماني جديد، وإعدادًا لنصر مؤجَّل تحقّق لاحقًا بفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجًا. لقد علّمنا النبي أن النصر لا يُختصر في الغلبة العسكرية، بل هو تراكم وعي وإعداد أرضية تُثمر في الوقت الذي يشاء الله.

وعندما نتأمل نهضة الإمام الحسين عليه السلام، ندرك بعمق هذا المعنى. فالمشهد في كربلاء بدا ظاهريًا وكأن يزيد هو المنتصر، لكن الحقيقة أن النصر الحسيني كان مؤجَّلًا، لأنه تحوّل إلى ثورة قيمية وأخلاقية خالدة. لقد انقضت معركة كربلاء في ساعات، لكنها ولّدت مشروعًا ممتدًا عبر القرون، مشروعًا يصوغ الوعي ويُحيي روح المقاومة ويُعلّم الأجيال أن الدم ينتصر على السيف ولو بعد حين. ومن هنا فإن كربلاء كانت نموذجًا صريحًا للنصر المؤجَّل، الذي يظهر أثره في وجدان الأمة كلما واجهت ظلمًا أو استبدادًا.

وإذا انتقلنا إلى حاضرنا، نجد أن الإسلام يواجه تحديات مركّبة: استلاب فكري، تشويه إعلامي، أنظمة استبدادية، وتيارات متطرفة تحاول سرقة اسمه لتشويه صورته. قد يظنّ البعض أن الإسلام اليوم في تراجع أمام العولمة والقوى المهيمنة، لكن القراءة المتأنية تكشف أن هناك مسارًا آخر يتكوّن بهدوء. فالوعي الشبابي يتجه أكثر فأكثر نحو البحث عن الهوية والمرجعية الروحية، والمجتمعات التي جُرِّبت فيها النظريات المادية أو الليبرالية المتطرفة باتت تتطلع إلى قيم العدالة والكرامة التي يمثلها الإسلام. هذا التحول ليس نصرًا سريعًا، لكنه علامة على نصر مؤجَّل يتشكل في العقول والقلوب قبل أن يظهر في الواقع السياسي والاجتماعي.

وإنّ المؤمنين في كل هذه المراحل هم الفاعل الأساسي في صناعة هذا النصر. فالله تعالى حينما قال: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، لم يكن يخاطب الناس خطابًا قدريًا جامدًا، بل كان يربط تحقق النصر بصفاء الإيمان وصدق الموقف. المؤمنون هم الذين يزرعون البذور بالصبر والتضحية والعمل الصالح، وهم الذين يحمون الرسالة من الانحراف ويحملونها إلى الأجيال التالية. النصر المؤجَّل إذن ليس غيابًا ولا تأجيلًا سلبيًا، بل هو مشروع يُبنى على أكتاف المؤمنين، ويتحقق بجهودهم مهما طال الزمن.

وما يزيد هذه الرؤية وضوحًا هو ارتباط النصر المؤجَّل بالوعد الإلهي بظهور الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف. إن فكرة الإمام المهدي تمثل ذروة الأمل الإنساني في العدالة والكرامة، وتجسيدًا لوعد الله بأن الأرض يرثها عباده الصالحون. الظهور ليس حدثًا مفاجئًا معزولًا، بل هو تتويج لمسار طويل من التمهيد الذي يقوم به المؤمنون عبر التاريخ. إن بناء الوعي، ومقاومة الفساد، وحماية القيم، وصناعة المجتمعات الواعية، كلها أشكال من التمهيد لهذا الظهور المبارك. ومن هنا فإن كل جهد يقوم به المؤمن في ميدانه، سواء كان جهدًا علميًا أو اجتماعيًا أو سياسيًا أو تربويًا، يدخل في سياق صناعة النصر المؤجَّل الذي يكتمل في زمن الظهور.

ولقد أكدت الروايات أن المؤمنين في عصر الغيبة الكبرى ليسوا مجرد منتظرين سلبيين، بل هم فاعلون في صياغة الأرضية لليوم الموعود. ففي الحديث الشريف: «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج»، وهذا الانتظار ليس قعودًا ولا استسلامًا، بل هو حركة مستمرة تعني بناء الذات والمجتمع، والتمسك بالقيم، ورفض الاستبداد والظلم، لأن زمن الظهور لا يأتي في فراغ، بل يحتاج إلى أمة مستعدة، وشعوب واعية، ومؤمنين يملكون من الصلابة ما يجعلهم جنودًا أوفياء للإمام حين يُعلن رايته.

والنصر المؤجَّل للإسلام إذن يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالمؤمنين وبمشروع الظهور المهدوي. فالمؤمنون هم الذين يحافظون على جذوة الأمل مشتعلة، وهم الذين يربطون الماضي بالحاضر والمستقبل، فيرون في انتصارات النبي والوصي، وفي دماء كربلاء، وفي تضحيات الصالحين، إشارات إلى أن وعد الله لا يتخلف.

وكلما ازدادت التحديات والضغوط، كلما ازدادت مسؤولية المؤمنين في الثبات والتمهيد، حتى يتحقق الوعد الكبير الذي بشّرت به الأنبياء والأوصياء، ويملأ الإمام المهدي الأرض قسطًا وعدلًا بعدما مُلئت ظلمًا وجورًا.

وفي عالم مضطرب كالذي نعيشه اليوم، حيث تتكاثر الأزمات الاقتصادية والسياسية والفكرية، تزداد الحاجة إلى هذا المفهوم. النصر قد يتأخر، لكنه ليس غائبًا، بل هو قادم في موعده الذي يحدده الله. وما على المؤمنين إلا أن يجعلوا من حاضرهم أرضية لذلك المستقبل، بأن يعيشوا قيم العدالة في سلوكهم، وقيم الرحمة في مجتمعاتهم، وقيم الصمود في مواقفهم. فالنصر المؤجَّل لا يُبنى على الأمنيات، بل على العمل والإيمان، وعلى وعي عميق بأن الزمن الإلهي يسير وفق حكمته، لا وفق استعجال البشر.

وهكذا يتضح أن النصر المؤجَّل للإسلام ليس خسارة مؤقتة، بل هو وعد ممتد، ومسار متراكم، ومسؤولية يتحملها المؤمنون جيلاً بعد جيل. وفي النهاية، سيُعلن الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لحظة اكتمال هذا النصر، حينما تتهيأ الأرضية البشرية والروحية لذلك، ليكون ظهوره خاتمة لمسيرة طويلة من التضحيات، وميلادًا لزمن العدالة الإلهية الذي انتظرته البشرية عبر العصور. وهذا هو المعنى الأعمق لقول الله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص: ٥].

أقلام

رحلة المعرفة: من الشك إلى اليقين (٢)

أحمد الطويل

■ معركة الحقيقة: الإسلام في مواجهة التعددية الدينية

تنويه: هذه هي المقالة الثانية من سلسلة فكرية أسبوعية، مستوحاة من الجزء الثاني من كتاب مدخل في نظرية المعرفة وأسس المعرفة الدينية للأستاذ محمد حسين زاده (ترجمة سيد حيدر الحسيني). تكمل هذه المقالة رحلتنا الفكرية من الشك إلى اليقين، بعد استكشاف متاهة القراءات المتعددة، لنقف اليوم أمام تحدي أكبر: نظرية التعددية الدينية، وإثبات أن الإسلام هو الطريق الحق.

■ مقدمة:

من الصحراء إلى الواحة، وكل واحد يدلك على طريق مختلف.

تخيّل نفسك تسير في صحراء مترامية الأطراف، والضباب يحيط بك من كل جانب. كل شخص تصادفه يدلك على طريق مختلف للواحة، ويقسم لك أن طريقه هو الصحيح، بينما الآخر يصرّ على أن طريقه هو المضمون. يبدو الأمر مربكًا، أليس كذلك؟ هذه هي صورة التعددية الدينية: محاولة لإقناع البشر بأن كل طريق يؤدي إلى الحقيقة، وأن كل دين يحمل جزءًا منها.

لكن الواحة، كما نعلم، لها موقع واحد، وطريق محدد يقود إليها. وكما قال القرآن الكريم بلا تردد: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

■ فلسفة التعددية: من كانط إلى جون هيك

الفكر الغربي حاول رسم صورة "تعددية" للمعتقدات الدينية. كانط ميّز بين "الشيء في ذاته" و"الشيء كما يظهر لنا"، مشيرًا إلى أن البشر لا يصلون إلى الحقيقة المطلقة، بل يرون صورًا نسبية عنها. جون هيك استعار هذه الفكرة ووسعها، قائلاً إن كل دين هو انعكاس مختلف للحقيقة المطلقة، وكل الأديان صحيحة في جوهرها.

لكن هذا الادعاء، رغم جاذبيته، يحمل تناقضًا صارخًا: فهو يساوي بين الحق والباطل، بين التوحيد والشرك، بين عبادة الله وعبادة الأصنام.

■ القرآن الكريم يضع النقاط على الحروف

القرآن يرفض هذه الفوضى الفكرية بكل وضوح: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

الحقيقة لا تتعدد، والحق واحد. الإسلام يقدم الصراط المستقيم، لا لأنه ديننا فقط، بل لأنه الطريق الذي حفظه الله من التحريف، وأيد العقل بالتوجيه، وفتح به أبواب النجاة.

■ آثار التعددية: ضياع المعايير وانحراف الحق

إذا قبلنا التعددية الدينية كما يروج لها، فإن جميع الأديان تصبح متساوية في القيمة والخلاص. يصبح المؤمن كالمشرك، ويغدو الحق والباطل في مصاف واحد.

وهنا يظهر الخطر الحقيقي: التعددية ليست تسامحًا، بل تدمير لمعيار الحق. تتحول الأديان إلى أذواق شخصية، لا وحي إلهي محدد وملزم.

■ الإسلام: الطريق الواحد للنجاة

الإسلام لم يغلق باب العقل، بل دعمه، ووجه الإنسان للتفكر والمقارنة. لكنه رسم خطًا واضحًا: الحق واحد، والدين الحق واحد، لا تقبل منهجيات "كل الطرق صحيحة" أو "الحق نسبي".

الإمام الباقر عليه السلام قال: "من دان الله بغير ما أمر الله فهو باطل" [الكافي، ج١، ص٥٦].

الهداية ليست بالادعاء أو التمني، بل بالالتزام بالوحي، والتقيد بولاية الله وحججه على العباد.

■ الخلاصة:

الطريق يضيق ليمنحك اليقين.

في المقالة الأولى، عرفنا متاهة القراءات المتعددة، التي جعلت الباحث عن الحقيقة يتوه بين أهواء البشر وأفكارهم. واليوم، نواجه تحديًا أشد: التعددية الدينية التي تدعي المساواة بين كل الطرق.

لكن نور القرآن يزيل الضباب من جديد: الطريق الحق واحد، والحق محفوظ من التحريف، والعقل مكرّم، والهداية بيد الله.

أيها القارئ، تذكر: الحق لا يتعدد، والصراط المستقيم واحد. من اتبع الهوى ضلّ، ومن تمسك بالوحي نجى. وكل قصة من التاريخ تشهد على ذلك: المسيحية ضاعت بين القراءات المتعددة والتحريف، وأما الإسلام فقد حفظ الله كتابه، وأقام فيه الحجة، وجعل النجاة لمن تمسك به.

ولكن تمهّل... فالمعركة الفكرية لم تنته بعد! في المقالة القادمة، سنقف أمام سؤال مصيري: إذا كان الإسلام هو الطريق الحق، فهل النجاة محصورة بالمؤمنين به فقط؟ وكيف نفهم رحمة الله الواسعة؟ هذه هي المحطة الثالثة من رحلتنا الفكرية، فاستعدوا لها بشغف!

اللهم أرنا الحق حقًا فنتبعه، وأرنا الباطل باطلًا فنجتنبه، ولا تجعل للشيطان علينا سلطانًا. اللهم اجعلنا من السائرين على صراطك المستقيم، وامنحنا الثبات في الدين، واحشرنا في زمرة محمد وآل محمد الطاهرين.